العلاقات اللغوية في عهد الدولة الأموية

دكتورة / مريم عابد مفلح الهذلي
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالقويعية
جامعة شقراء – المملكة العربية السعودية

المقدمة:ـــ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن العلاقات اللغوية التي ذكرها يوهان فك في كتابه العربية، من الفصل الأول المعنون بـ(العلاقات اللغوية في عهد الدولة العربية) (الأموية)، واستخلاص الأمثلة على كل علاقة من كتاب فك نفسه، مع توضيح هذه الأمثلة، ومهد البحث لهذا بتصوير العلاقات اللغوية قبل الدولة الأموية التي اتخذت مظهرين:

الأول: تخالط لغات العرب أنفسهم، والثاني: اختلاط لغة العرب بغيرها من لغات الأمم المجاورة، وبإلمامة سريعة بكتاب فك (العربية).

وقد انتهى البحث إلى خمس علاقات لغوية كبرى ذكرها فك، وهي :علاقة انتشار العربية خارج حدود الجزيرة العربية، علاقة توحيد اللهجات العربية في عهد الفتوحات، علاقة التقارض بين العربية ولغات البلدان المفتوحة، علاقة العربية المولدة في مظاهر متنوعه، علاقة السياسة اللغوية تجاه الفصحى .وبدت اللغة في عهد الدولة الأموية للبحث بوجهين:عربية مولدة آخذة في الازدياد، وعربية فصيحة تحاط بسور من الحماية اللغوية السياسية من طبقات مختلفة في المجتمع .

تمهيد :ـــ

إن المقولة السائرة عن الإنسان بأنة مدني بطبعه، تنطبق تماماً على لغته، وتاريخ أي لغة يظهر مراحل مختلفة مرت بها نتيجة استقبالها مؤثرات أحدثت فيها ذلك التباين، سواء في ذلك الأصوات، والمفردات والتراكيب، وأهم تلك المؤثرات احتكاكها بلغات أخرى تترك فيها لمدى بعيد تحولاً عن نسقها الأول، ويكاد أن يكون من المستحيل أن تعود أي لغة إلى مرحلة سابقة كانت عليها، وقبل الدخول إلى العلاقات اللغوية التي ذكرها فك في عهد الدولة الأموية، التي تصور اتصال العربية بلغات أخرى، على حال لم تتح للعربية من قبل لا مده، ولا مساحة، ولا صفة يقرأ البحث صفحة العلاقات اللغوية للغة العربية قبل الدولة الأموية .

العلاقات اللغوية قبل الدولة الأموية :ـــ

تضم العلاقات اللغوية قبل الدولة الأموية صورتين من صور العلاقات اللغوية، الأولى: لقاء العربية على ألسنة أبنائها، ويتمثل في تخالط لغات العرب، الثانية: اتصال اللغة العربية بغيرها، ويتمثل في اختلاط لغة العرب بلغات الأمم الأخرى، وسيقف البحث عند كل صورة من الصورتين.

تخالط لغات العرب أنفسهم : ـــ

ضمت الجزيرة العربية لهجات مختلفة، تتوزع جغرافياً في أقاليم متباعدة نوعاً ما، وتنتهي هذه اللهجات في نسبها لغوياً إلى اللغة العربية إحدى فروع الفصيلة السامية، إلا أن هذه الاختلافات بين اللهجات ليست كبيرة بحيث يستحيل التفاهم بين هذه اللهجات، بل تنحسر هذه الفوارق في زوايا ضيقة، لا تمس الوجه العام للغة[١]، وأعيد هذا التباين إلى توزع القبائل في مناطق متباعدة، يصعب معها استمرار الاتصال بينها. وبذلك عاشت هذه القبائل شبه منعزلة، واختصت بأنماط معيشية، وعادات سلوكية، ولغوية تختلف فيما بينها[٢].

وللطبيعة الجغرافية بعد أثر في تلوين لغة الإنسان، وخصائص الإقليم الطبيعية تنطبع في لغة سكانها، ومن أجل ذلك اختلفت مظاهر اللغة بين سكان المناطق الجبلية، وسكان الأودية والصحراء[٣]، ومعلوم أن الجزيرة العربية تتنوع فيها التضاريس، ففي غربها جبال السروات، التي تنحصر بين البحر وسهول تهامة، وفي وسطها تمتد هضبة نجد، وهنا وهناك الرمال والصحاري[٤].

وتختلف لهجات العرب في مظاهر حدها بعض الباحثين في أحد عشر مظهراً هي: الاختلاف في الإعراب، والأصوات، والإعلال، والهمز والمصادر، والتعدي في الفعل، والتجرد، والصرف، والاختلاف بالتضاد أو الاشتراك، والاختلاف في صيغ الأفعال، ومثل على كل اختلاف ونسب كل مذهب إلى قبيلته التي تجري عليه[٥].

---

(١) نهر ، هادي ، الأساس في فقه اللغة العربية : ص ٢٨٢.

(٢) السابق: ص ٢٧٨.

(٣) ناصر ، بتول قاسم و دلالات الإعراب : ص ٢٤٨ .

(٤) نهر ، هادي ، الأساس في فقه اللغة العربية : ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ .

(٥) إسماعيل ، عبد الرحمن محمد : مظاهر اختلاف لغات العرب : ص ١٣ وما بعدها .

وأشهر ما تختلف فيه لهجات العرب ما اتخذ أسماء معينة في دراسة اللغة العربية من لهجات القبائل وهي : الوكم، والوهم والعنعنة، والفحفحة، والعجعجة، والشنشنة، والطمطمانية، والاستنطاء، والتلتلة، والغمغمة، والقطعة، والكشكشة، واللخلخانية، وتتمثل في إبدال حرف مكان حرف آخر، أو حركة بدل أخرى، أو حذف حرف، أو زيادته [١].

وعلى الرغم من كل ما سبق فقد توفرت للهجات العرب مؤثرات، ومناسبات جمعت بينها، وجعلتها تتقارب على أقل تقدير في المكان، سواء في ذلك العربية الشمالية، والعربية الجنوبية، وهذه العوامل :

أولاً : قصد الكعبة : فقد كانت العرب جميعها تعظم الكعبة المشرفة، وتفد إليها من أنحاء الجزيرة، وكان هذا الالتقاء فرصة لاحتكاك هذه اللغات، وسماع بعضهم من بعض، وتأثره به، وربما كان دافعاً إلى المحاكاة، ومن ثم ينتقل هذا الأسلوب مثلا إلى القبيلة الأخرى وهكذا[٢].

ثانياً : أسواق العرب: وهذا العامل قد يكون أوسع العوامل مجالآ لعرض اللغة، وسماعها محبرة رنانة، مما يجعلها أعلق في الذهن، وأسير في الجزيرة، وهي أشبه ما تكون بالنداوات الأدبية للشعراء، والخطباء، فهم يقولون، ويستمعون، ويبيعون ويشترون، وفرصة كبرى لسكان المناطق التي تقوم فيها هذه الأسواق[٣]، وأسواق العرب كثيرة، وأشهرها التي كانت حول مكة وهي : عكاظ، ومجنة، وذو المجاز، وهناك غيرها ففي الجنوب الشحر، وسوق عدن أبين وسوق صنعاء، وسوق حضرموت، وفي وسط الجزيرة سوق حباشة، وفي الشمال سوق دومة الجندل، وسوق عمان، وسوق المشقر، وفي الشرق سوق هجر[٤] .

---

(١) نهر ، هادي ، الأساس في فقه اللغة العربية : ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ .

(٢) السابق : ص ١٣٤ .

(٣) عبد التواب ، رمضان : فصول في فقه اللغة : ص ٧٩ .

(٤) رضا ، محمد رشيد ، مولد اللغة : ص ٩٩ .

ويذهب الشيخ رضا إلى أن أكبر غاية لهم في هذه الأسواق هي تخير اللغة، وتهذيبها عملاً، وقولاً، وأن ما يحملونه من طرائف مفاخرهم، ومآثرهم أضعاف ما تحملة من البز وطرائف الصنائع [١].

ثالثاً الهجرات البينية: فقد كانت أغلب القبائل العربية بدوية تتنقل وراء الماء، والعشب، وهذا التنقل بارز في أشعارهم، فهم يبكون الأطلال البالية التي مضى عليها عهد، وهم يبكون حينما تشد الرجال بأحبابهم، وهذه الجوارات المتعددة كفيلة بتجاور لغاتها، وتفاعلها[٢]، هذا عن هجرات القبائل العربية الشمالية فيما بينها، أما هجرة العربية الجنوبية والشمالية فيما بينها، فقد نزحت قبائل من اليمن بعد انهدام سد مأب إلى الشمال، فأقامت خزاعة في مكة، والأوس، والخزرج في المدينة، وكندة في نجد والمناذرة في الحيرة، والغساسنة في الشام، وارتحلو معهم بلغتهم، وحضارتهم، فأثروا وتأثروا[٣] وتميزت بعض هذه القبائل التي هاجرت من اليمن بقربها من العربية الفصحي، وكانت لغة طيء إحدى هذه اللغات التي هاجرت، وكانت ضمن اللغات التي قعدو عليها اللغة، وأقر لها علماء اللغة بالفصاحة، في حين أن لغة مهرة التي لم تحتك بغيرها، وبقيت في اليمن، ظلت حميرية غير مفهومة، تشاكل لغة العجم، وقد علل القدماء بعدها عن العربية بانقطاعها، وعدم احتكاكها بغيرها[٤].

رابعاً: الحروب والإغارات : أسهمت الحروب في التقاء القبائل، وتقابل لهجاتها في ثلاث صور، الأولى : اللقاء المباشر بين المقاتلين، ثانياً :الأسرى والمنتهبين الذين يبقون لدى القبائل المغيرة أو يبيعونهم عبيداً، وينشرون بين القبائل، كما حدث لزيد بن حارثة الذي انتهب صغيراً من شمال الجزيرة، ثم باعوه حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهي قصة مشهورة من السيرة [٥]، وثالثاً: ما يقوله القادة الزعماء بين يدي الحروب شحذاً لأنصارهم، وتثبيطاً لأعدائهم، وكل هذه الصور تتيح لكل فريق ان يأخذ من لغة الآخر أو يحاكيه في طريقته، وهذه المقالات تحفظ ويتناقلها الناس بينهم

---

(١) السابق : ص ٩٨ .

(٢) الأكوع ، خالد أحمد إسماعيل ، أثر الإسلام في التوحيد اللغوي : ص ١٤٤ .

(٣) نهر ، هادي ، الأساس في فقه اللغة العربية : ص ٢٧٨ ، ص ٢٧٩ .

(٤) الأكوع ، خالد أحمد إسماعيل ، أثر الإسلام في التوحيد اللغوي : ص ١٤٣ .

(٥) ابن كثير ، أبو الغداء إسماعيل ، السيرة النبوية : ٣ / ٤٨٠ .

وبالتالي تنتقل إلى قبيلة أخرى، وبذلك شاركت الحروب في امتزاج اللهجات من جهة، وانتشارها من جهة أخرى[١].

خامساً : عمل الشعراء والخطباء، وقد أسهمت المكانة الاجتماعية للشعراء في اختيار المشترك من الألفاظ واستعمال اللغة التي يعرفها أكثر العرب، فعبروا بها عن أغراضهم، وأفكارهم التي تحمل فخر الشاعر بقبيلته، أو هجاءه لخصمة، ليحط عند كل القبائل على اختلاف لهجاتها، وبذلك اقتضت المكانة الاجتماعية للأدب وجود اللغة الموحدة[٢].

ونتيجة للاحتكاك اللغوي بين اللهجات العربية الشمالية والجنوبية فيما بينها تكونت العربية الباقية وانتشرت على ألسنة القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام[٣]، إلا أنه لا يعرف بالتحديد متى كان ذلك التكوين، وهذا لا يعني عدم وجود فوارق بين لغات القبائل بتاتاً، بل ظلت اللهجات العربية باقية قبل الإسلام، وبعده[٤].

ولما نزل القرآن الكريم لم يكن بلسان قبيلة واحدة،لا من ناحية المفردات التراكيب، ففيه من لغة تميم مثلاً إعمال (ما) عمل (ليس)[٥] في قوله تعالى:(ما هن أمهاتهم)[٦]، وفيه من لغات القبائل الأخرى في المفردات شيء كثير أيضاً ذكره السيوطي في النوع السابع والثلاثين، وعنون له بـ (ما وقع بغير لغة الحجاز) ذكر على سبيل المثال أن كلمة (تسيمون) مما جاء على لغة خثعم[٧] وألف في لغة القرآن كتباً عزت ألفاظه إلى قبائل معينة كهذيل، وقيس، وحمير، وجرهم، وكنانة[٨].

ويذكر هنا مصطلح (اللغة المشتركة) [٩]ويرى بعضهم أن هذه اللغة المشتركة هي لغة قريش[١]، وقد نفى الدكتور عصام نور الدين أن تكون هذه اللغة هي لغة قريش، وإن

---

(١) الأكوع ، خالد أحمد إسماعيل ، أثر الإسلام في التوحيد اللغوي : ص ١٤٥ ، ص ١٤٦ .

(٢) السابق : ص ١٤٧ .

(٣) نهر ، هادي ، الأساس في فقه اللغة العربية : ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٠ .

(٤) المبارك ، محمد ، في فقه اللغة العربية : ص ٦٠ .

(٥) نور الدين ، عصام ، محاضرات في فقه اللغة : ص ٨١ .

(٦) المجادلة : ٢ .

(٧) السيوطي ، والاتفاق في علوم القرآن : ٢ / ٣١٧ .

(٨) نهر ، هادي ، الأساس في فقه اللغة العربية : ص ٢٧٦.

(٩) ينظر مثلا : نهر ، هادي ، شاهين ، عبد الصبور ، العربية لغة العلوم : ص ٧٥.

كانت لغة قريش قد صفى نطقها للأصوات العربية[٢]، ويرى البحث أنه ليس هناك ما يسمى(اللغة المشتركة) بهذا الاصطلاح، إنما هناك لغة للعرب تتفق في كثير من الخصائص، وتفترق في نقاط لا تذكر، يقول فك : لم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم حتى بين القبائل المتباعدة بعضها عن بعض السكنى، والجوار إذا إن أغلب الفروق فيما يظهر كانت في الأصوات، والأبنية، والمعاني، أو على الأقل هذه هي الفروق التي لفتت أنظار اللغويين العرب الذين نعتمد على أخبارهم وحدها في معارفنا عن اللهجات البدوية، ومن تلك الفروق مثلاً النعنعة [٣] .... .

ويرى بعض اللغويين أن ما يسمى (اللغة المشتركة) هي لغة الشعر والأدب[٤]، وليست لغة سواد الناس ويرى البحث خلاف ذلك وأن تلك اللغة هي لغة النساء والرجال والزعماء والأفراد والشعراء والمتحدثين ولكن لغة الشعر، والخطابة تزيد بمزايا فنية زائدة بليغة، فهذه كتب الأخبار، واللغة، والتاريخ، والأدب، تنغلق جلودها على النصوص العربية الخالصة من شمال الجزيرة وجنوبها وشرقها وغربها ووسطها وهذا القرآن الكريم يذكر أنه (لساناً عربياً)[٥] على ما فيه من لغات متعددة للعرب، وعلى ما له من قراءات متعددة والبحث العلمي يتسع لاختلاف الآراء والله أعلم .

اختلاط لغات العرب بغيرها من لغات الأمم المجاورة :ـ

تشرف الجزيرة العربية جغرافياً على منافذ تصلها بأمم تخالفها في دينها وحضارتها ولغتها وكان العرب يختلطون بهذه الأمم قبل الإسلام وبعده لتحقيق منافع لهم عن طريق التجارة والهجرات[٦] وقد ذكر القرآن الكريم رحلتين لقريش كانت تسيرهما في

---

(١) الأكوع ، خالد أحمد إسماعيل ، أثر الإسلام في التوحيد اللغوي : ص ١٣٥ .

(٢) نور الدين ، عصام ، محاضرات في فقه اللغة : ص ٨١ .

(٣) فك ، يوهان ، العربية : ص ١٨ ، ص ١٩ .

(٤) ينظر مثلا : الأقطش ، عبد الحميد ، حول حقيقة الفصحى : ص ٤٩ .

(٥) الأحقاف : ١٢ .

(٦) نهر ، هادي ، الأساس في فقه اللغة العربية : ص ٢٧٦.

الجاهلية إلى الشمال والجنوب وذكر أنهم كانوا يركبون السفن[١] وحفظ التاريخ عبور جماعة من الساميين للبحر الأحمر متجهة إلى مصر والحبشة شمال إفريقية[٢] وفي التاريخ الإسلامي هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة[٣] وكانت القبائل الشرقية خصوصاً في الجزيرة العربية على صلة بالعراق وفارس وكان إقليم ميسان مكان البصرة الحالية ملتقى السفن التواجر الآتية إلى الخليج العربي يأتيه الهنود، والفرس، والزط، والسبابحة، وللفرس والأحباش غزوات مذكورة في كتب السيرة وصلت إلى اليمن والحجاز[٤] وهذا الاحتكاك البشري ينتج عنه احتكاك لغوي تظهر أثاره في أصوات الحروف والمفردات والأبنية وتركيب الجمل والأساليب[٥] ولهذا ترك اللغويون الأخذ عن قبائل معينة كانت تجاور العجم فلم يأخذوا عن لخم وجذام، لمجاورتها مصر ولا عن قضاعة وغسان وإياد لمجاورتها الروم ولا عن بكر لمجاورتها النبط والفرس ولا من أهل اليمن والبحرين لمخالطتهم الهند والفرس والحبشة[٦] .

ويزيد الافتراض في المفردات عنه في أي مستوى آخر من مستويات النظم اللغوية[٧] وقد دخل إلى العربية كثير من مفردات اللغات المخالطة فدخل إليها من الفارسية مثلاً اصطلاحات الإدارة كالديوان والرزق والمرزبان ومن الحبشية ما يرجع إلى أشياء دينية كحواريون ومنبر ومحراب ومصحف ومن الآرامية أجزاء البيت، والآلات، كالباب، والقفل، والزجاج ومن الآكدية التلميذ والترجمان والمسكين ومن اليونانية إبليس، والقرطاس، واللص[٨].

وتعرف الألفاظ المقترضة من اللغات الأخرى في العربية بفقدان الصلة بينها وبين مواد الألفاظ العربية مثل كلمة (كاغد) فليس في الأصول العربية (كغد) وباجتماع

---

(١) ذكرت الرحلتان في سورة قريش ، وركوب السفن ذكر في آيات منها قوله تعالى : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) (العنكبوت : ٦٥) .

(٢) هنداوي ، على محمد ، الفصحى والحضارة : ص ٤٣ .

(٣) ابن هشام ، عبد الملك ، السيرة النبوية : ٢ / ١٦٤ .

(٤) الشلقاني ، عبد الحميد ، من مصادر اللغة : ص ٢٩٩ .

(٥) المبارك ، محمد ، في فقه اللغة : ص ٢٩٣ .

(٦) الأكوع ، خالد أحمد إسماعيل ، أثر الإسلام في التوحيد اللغوي : ص ٥٥ .

(٧) العربية ولهجاتها : ٥٦ .

(٨) برجشتراسر ، التطور النحوي : ص ٢١٢ .

حروف فيه لا تجتمع في الألفاظ العربية،كاجتماع الجيم والقاف في كلمة (جوسق) والجيم والصاد في (جص) والجيم والطاء في(طازج)، وتعرف أيضاً بجريانها على وزن لا تجري علية الألفاظ العربية مثل كلمة (ابريسم)، وكلمة (آجر)، فهذان الوزنان(افعيلل)، (وفاعل) ليسا من أوزان الألفاظ العربية[١]، وتعرف أيضاً بتوالى حرفين لا يتتاليان في الألفاظ العربية، كتوالى النون والراء في (نرجس)، والدال والزاي في (مهندز) التي قبلت زايها سينا (مهندس) [٢].

وتعد الفارسية اللغة التي حازت قصب السبق في إعارتها اللغة العربية[٣]، وفي المقابل افترضت الفارسية من العربية كثيراً، حتى قيل : لو أن أحداً أراد أن يكتب شيئاً بالفارسية، بحيث تكون كتابته خلواً من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر[٤].

والعرب حين تدخل هذه الألفاظ إلى لغتها تحور فيها لتتناسب مع ألفاظها الأصلية، ولها في ذلك طرق ذكرها اللغويون[٥] وهذه الألفاظ أعجمية بحسب الأصل، عربية بحسب الآن[٦]، ويقول الجواليقي فيمن يجعل هذه الألفاظ عربية أصلاً : إنه كمن يزعم أن الطير ولد الحوت[٧].

ومما ورد في الشعر الجاهلي من الألفاظ المقترضة قول عمرو بن كلثوم :.

كأن ثيابنا منا ومنهم خضبن بأرجوان أو طلينا

والأرجون: صبغ أحمر وهو فارسي[٨] وفي القرآن الكريم : (بأكواب وأباريق وكأس من معين)[٩] والأباريق جمع إبريق وهو فارسي[١٠] عنها، وفي الحديث

---

(١) المبارك ، محمد ، في فقه اللغة : ص ٣٠٠ ، ص ٣٠١ .

(٢) الشلقاني ، عبد الحميد ، من مصادر اللغة : ص ٢٣٢ .

(٣) شير ، أدي ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة : ص ٣ .

(٤) عبد المنعم ، محمد نور الدين ، معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية : ص ٢٢ .

(٥) الخفاجي ، شهاب الدين ، شفاء الغليل : ص ٢٥ .

(٦) السابق : ص ٢٤ .

(٧)الجواليقي ، موهوب بن أحمد : المعرب من الكلام الأعجمي : ص ٥٢ .

(٨) المنجد ، صلاح الدين ، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة : ص ٦ .

(٩) الواقعة : ١٨ .

(١٠) المنجد ، صلاح الدين ، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة : ص ٨٣ .

من استمع إلى قينة صب الله الآنك في أذنيه (والآنك): الرصاص، وهو فارسي وقيل: سرياني[١].

ومن العصر الأموي قول الشماخ بن ضرار :.

تـــذكرتها وهنـــا وقد حـــال دونهـــا قرى أذربيجـــان المســـالح والجـــالي

وأذربيجان : إقليم في شمال إيران[٢].

وقول جرير:.

سيروا بني العم فـــالأهواز مـــنزلكم ونهر تـــيري فمـــا تعـــرفكم العـــرب

والأهواز موضع بفارس[٣]، إلى غير ذلك مما يستعصي على الحصر.

تعريف بكتاب (العربية) :ــ

يعد كتاب" العربية " للمستشرق الألماني " يوهان فك " دراسة مستفيضة للغة العربية، ولهجاتها، وأساليبها، وتطويرها، وعوامل هذا التطور ومظاهره، وقد اتبع في ذلك طريقة الوصف حيناً، وطريقة التحليل الوصفي حيناً آخر والكتاب مقسم إلى تمهيد يليه ثلاثة عشر فصلاً، وملحق في مادة:(لحن) ومشتقاتها[٤] و جعل عنوان : الفصل الأول :العلاقات في عهد الدولة الأموية وهو مدار البحث .

الفصل الثاني : عربية الدولة، ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي .

الفصل الثالث : اللغة العربية في عصر هارون الرشيد.

الفصل الخامس : العلاقات اللغوية في عصر المأمون، وعقيدة الاعتزال الرسمية .

الفصل السادس : العربية تصير لغة الأدب الفصحى في النصف الثـــاني مـــن القـــرن الثالث الهجري .

الفصل السابع : عربية الأدب في القرن الرابع .

الفصل الثامن : العربية ولهجات البدو في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي .

الفصل التاسع : العربية واللغة المولدة في القرن الرابع .

---

(١) السابق : ص ٩١ .

(٢) السابق : ص ١٦٢ .

(٣) السابق : ص ١٦٨ .

(٤) سلامي ، عبد القادر ، كتاب " العربية " ليوهان فك غرض لجهد استشراقي في تحقيق لغة العرب بحث على الرابط : http://www.arrafid.ae/motabaat.html

الفصل العاشر : ظهور اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع العاشر الميلادي .
الفصل الحادي عشر : " وصف المقدسي " للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي إبان القرن الرابع الهجري .
الفصل الثاني عشر : اللغة العربية في عهد السلجوقيين .
الفصل الثالث عشر : نظرة خاطفة .

وقد أتيح لهذا الكتاب من المادة الغنية، والتحليل العميق، والمنهج العلمي الصارم ما جعله ينأى عن أن يكون مؤلفاً وقتياً يطفو على سطح الحياة العلمية، ثم يتوارى عنه بعد سنوات قليلة، ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي غدا من المراجع التقليدية في الدراسات اللغوية[١] وقد أقيمت دراسة على هذا الكتاب في رسالة جامعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عنوانها " منهج المستشرق يوهان فك في كتاب العربية " للباحث جهاد بن بلال الحارثي، ولم يقف البحث على هذه الرسالة .

العلاقات اللغوية عهد الدولة الأموية عند (فك) :ـــ

تضمن هذا الفصل من كتاب (العربية) التطرق إلى خمس علاقات كبرى، يواصل فك الكتابة عنها داخل الفصل، أو يفصل بينها بفقرة، أو فكرة ذات صلة بالعلاقة، والجدير بالذكر والإشادة هذا التسلسل المنتظم في ذكر هذه العلاقات، والتدرج الدقيق العجيب الربط، فهو مثلاً بدأ بعلاقة انتشار العربية لغة الفاتحين، ثم التفت إلى هذه اللغة ليذكر علاقة أخرى وهي توحيد لهجات الفاتحين، ثم ذكر سياسة عمر رضي الله عنه التي تعزل إقامة الفاتحين عن مقام سكان البلاد المفتوحة لئلا تختلط اللغات فتفسد العربية، وذكر سياسة عمر وإن كانت خارج الحدود الزمانية لهذا الفصل إلا أنه أراد أن يتوصل بها إلى علاقة أخرى وهي العربية المولدة، وقبل أن يصل إلى هذه العلاقة الجديدة ذكر وسيطاً آخر بين الفاتحين والسكان الأصليين وهي الأراضي الزراعية التي صارت للفاتحين، وهذا الوسيط حتم اللقاء بين لغة الفاتحين، ولغة السكان الأصليين ليقع هنا على العربية المولدة الثالثة[٢].

ولو تتبع البحث سير هذه العلاقات المتدرج لطال، ولكن يكتفي بهذه الإشارة،وتجتمع العلاقات التي ذكرها فك في علاقة انتشار العربية خارج حدود الجزيرة العربية،علاقة

---

(١) قدور ، أحمد محمد ، مفهوم العربية المولدة : ص ١٠٥ .
(٢) فك ، يوهان ، العربية : ص ١٨ ، ص ١٩ .

توحيد اللهجات العربية في عهد الفتوحات، علاقة التقارض بين العربية ولغات البلدان المفتوحة، علاقة العربية المولدة في مظاهر متنوعة، علاقة السياسة اللغوية تجاه الفصحى .

وفيما يلي تناول هذه العلاقات على حدة :ـ

علاقة : انتشار العربية خارج حدود الجزيرة العربية :

عبرت الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية نهر سيحون لتصل إلى(كاشغر)على حدود الصين[١] ووقفت غرباً على شواطيء المحيط الأطلسي، وقد حمل الإسلام العربية معه إلى هذه المناطق، وإلى ما دونها من الأقطار التي فتحت في الخلافة الراشدة؛ لأن العربية لغة العبادة في هذا الدين ولذلك سارع المسلمون الجدد إلى تعلم اللغة العربية[٢]، حتى حذقتها جماعة منهم كانت لهم الصدارة في تاريخ الإسلام العلمي الذي لا يفرق بين الأجناس، من مثل البخاري، وسيبويه الفارسيين[٣].

إضافة إلى أن انتصار المسلمين في هذه الفتوحات كان موطداً للعربية في هذه البلاد، تبعاً للقاعدة الاجتماعية التي ذكرها ابن خلدون وهي أن لغة الامصار تابعة للسان الأمة الغالبة عليها، أو المختطة لها[٤]، وقد قام الأمويون بعمل عظيم الأثر وهو تعريب الدواوين في خلافة عبدالملك ابن مروان، فعرب ديوان الشام الذي كان يكتب بالرومية (اليونانية) وعرب ديوان العراق الذي كان يكتب بالفارسية، وعرب ديوان مصر الذي كان يكتب بالقبطية، وبذلك صارت العربية لغة الدين والعلم، والسياسة[٥] واكتسحت لغات الشعوب المفتوحة من فارسية، ورومية، وقبطية، وبربرية، ويونانية، وسريانية وعبرية، وأصبحت شائعة في دار السلام لأنها لغة الفاتح، ولغة الدين[٦].

---

(١) خليل ، حلمي ، المولد : ص ٢٧٤ .

(٢) البوزبكي و التعريب في العصرين الأموي والعباسي ، على الرابط :
http://www.altareekh.com

(٣) رضا ، محمد رشيد ، الخلافة : ص ٩٩ .

(٤) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون : ص ٣٧٩ .

(٥) السابق : ص ٢٤٤ .

(٦) البوزبكي و التعريب في العصرين الأموي والعباسي ، على الرابط :
http://www.altareekh.com

وفي هذا الشأن يقول فك : إن العربية توغلت مع الفتوح في عهد الدولة العربية حتي وقفت على مشارف الصين في المشرق، وإلى أطراف قارة آسيا في المغرب، وحدود أوربا في الشمال، وإن قوة مد العربية ترتبط بقوة الجيوش الداخلة، واشتراك العربية مع هذه اللغات في ميدان واحد منتج ولا شك تأثراً وتأثيراً[١].

ثم ذكر أمراً طريفاً وهو أنه يمكن على امتداد العهد الأموي إلى صدر الخلافة العباسية أن تجد في تلك الأقطار النائية من يتكلم من القبائل العربية المهاجرة عربية نقية[٢].

وذكر المقدسي أن عربية ما وراء النهر أصح من عربية سورية، لأن غالب سكانها من العرب البدو، وأن سكان خوزستان يتكلمون الفارسية والعربية[٣].

وهنا سؤال يتبادر وهو أين ذهبت عربية هذه البلدان اليوم أو فيما بعد تلك العصور ؟ والجواب هو أن التتار لما ملكوا المشرق طمسوا رسم العربية في الممالك الإسلامية بخراسان، وفارس، والهند، والسند، وما وراء النهر، وغيرها[٤]ولم يبق في تلك اللغات إلا ألفاظ من العربية احتفظت بها، وستأتي إن شاء الله علاقة التقارض .

علاقة : توحيد اللهجات العربية في عد الفتوح :ــ

من المعلوم أن خطط الفتوح الإسلامية تحتاج إلى تهيئة جيوش كبيرة، تتكون من الجنود الذين ينضمون إلى هذا العمل في الدولة الإسلامية، وإضافة إلى أن من يجيبون داعي الجهاد من أفراد المسلمين، وهؤلاء الجنود ينتمون إلى أصول مختلفة في الدولة الإسلامية فهناك الثقفي، وهناك التميمي، وهناك اليمني ..... إلخ [٥].

وفي هذا الصدد ذكر فك أن الفتوحات وحدت القادرين على حمل السلاح، من جهة أنها حملتهم على النفرة إلى الدعوة ومن هذا التوحد يلتقط فك توحيداً آخر هو توحيد لهجات هذه القبائل التي لها أداء مختلف من مثل العنعنة، والكشكشة....إلخ.

---

(١) فك ، يوهان ، العربية : ص ٨١ .

(٢) السابق : ص ١٨

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم : ص ١٤٦ ، ص ٤١٨ .

(٤) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون : ص ٢١٤ .

(٥) فك ، يوهان ، العربية : ص ١٨ ، ص ١٩ .

وقد وافق شكري الفيصل فك في هذا الاعتقاد [١] ولم يظهر للبحث مبرراً لهذا الاعتقاد، وهذه الفوارق بين اللهجات لا تزال إلى اليوم باقية وبالإمعان في عبارة فك عن هذه الفكرة يلحظ أنها اختلفت فقد قال أولاً :" لقد أدى عهد الفتح إلى بث روح من القوة في صميم العربية، وإلى توحيد لهجات البدو أنفسهم[٢] وقال في ختام الفقرة، فهذه الخصائص اللهجية قد صقلت إلى حد بعيد في عهد الفتوحات التي وحدت القادرين على حمل السلاح من مختلف القبائل في سبيل التعاون في الجهاد[٣] فأضاف قيد (إلى حد بعيد) وكأنة يقول : إنه بعد هذا الصقل بقي اختلاف، فإذاً يكون ادعاء توحد هذه اللهجات افتراضاً أو لا أثر له، والله أعلم .

علاقة : التقارض بين العربية ولغات البلدان المفتوحة :

ذكر فك أن الشعوب تمسكوا في بداية الفتوح بلغاتهم الأصلية سواء في مصر، أو فارس، أو العراق، وأن العربية لم تكن في بداية الأمر سوى لغة تضاف إلى مجموع لغات المجتمع المتعددة، وأن العربية انتظرت في شرقي الدولة الإسلامية، وغربها قرناً كاملاً لتكون لسان الحكم والإدارة[٤].

وترجع بداية التلاقي الفعلى بين العربية، والفارسية، إلى تسمية الأماكن في المدن الناشئة، فكانت تسمى بأسماء يرجع نصفها إلى العربية، والنصف الآخر إلى الفارسية،مثل: مهلبان، وجعفران، وطلحتان، وخالدان، وكذلك اللقب العسكري (أسواري) هو نسبة عربية للفظ فارسي (أسوار) [٥] وقد ذكر فك جملة من الألفاظ التي اقترضتها العربية ذلك العصر من الفارسية، وظهرت على ألسنة العرب في الكوفة، والمدينة، منها (خيار) بدلاً من (قثاء)، و(باذروج) بدلاً من (الرجلة)، و(يدي) بدلاً من (مجذوم)، و(بال) بدلاً من (المسحاة)، وهي ألفاظ معربة، و(خريز) بدلاً من

---

(١) الفيصل ، شكري ، المجتمعات الإسلامية : ص ٢٤١ .

(٢) فك ، يوهان ، العربية : ص ١٨ .

(٣) السابق : ص ١٩ .

(٤) السابق : ص ٢٤ . ص ٣٢ .

(٥) السابق : ص ٢٥ .

(بطيخ)، و(روذق) بدلاً من (سميط)، و (أشترنج) بدلاً من (شطرنج)، وهو من تأثير الفارسية اللغوي على العربية [1].

ولم يقف تأثر العربية بالفارسية عند دخول بعض المفردات، بل إن العرب اتخذوا في ذلك الوقت طريقة اللغة الفارسية في نطق الحروف وذكر فك مثالاً على ذلك كلمة (ممزوز) بدل (ممصوص) حيث يستعاض في الفارسية بالزي عن الصاد[2].

ولم يتناول فك في هذا الفصل نماذج لاقتراض الفارسية من العربية ولكنه ذكر في علاقة العربية المولدة الآتية صوراً من تلك العربية المولدة آنذاك وهي قوالب كاملة لأثر العربية على الفارسية . وتطرق فك إلى أن أثر القبطية في العربية ضئيل جداً، وعلله بأنه لم تتوفر لدينا المصادر التي تلتقط لنا صوراً من المجتمع الإسلامي آنذاك، بخلاف الفارسية، فقد كانت عدسة الجاحظ تلقط صوراً متجددة من التقائها بالعربية [3].

علاقة : العربية المولدة في مظاهر متنوعة :ـ

من الطبيعي أن لاتبقى اللغة على ماهي عليه لا تتغير عندما تعانقها غيرها من اللغات، وبمرور الوقت تتعرض اللغات المختلفة لعوامل تغير شيئاً من ملامحها . وقد تعرضت العربية منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا لعوامل متباينة انتهت بها إلى صورتها التي عليها الآن .وقد عرض فك في كتابه ضمن العلاقات اللغوية لعلاقة (العربية المولدة) في أربعة مستويات يمكن استخلاصها، تتوزع بين الأعاجم، والموالي، والعرب ولغة الأعاجم العربية المولدة تمثل مستويين من هذه المستويات الأربع، مواكبة لمرحلتين من مراحل العربية على ألسنة هذه الأجناس بعد الفتوح، وهاتان المرحلتان هي مرحلة بداية اتصال العرب في الفتوح بهذه الشعوب، والمرحلة الأخرى هي مرحلة تلت بأجيال المرحلة الأولى وهذه المستويات هي :ـــ

المستوي الأول : مستوى لغة التفاهم، وقد أرخ فك لبداية هذا المستوى بامتلاك العرب لأراض في البلدان المفتوحة كان القائمون عليها هم سكان البلاد الأصليين، وبالتحاق كثير من هؤلاء الشعوب بالجيوش الفاتحة، وهذا المستوى له خصائص تميزه عن غيره من المستويات، تبرز في مقولة " فك " وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل

---

(1) السابق : ص ٢٨ ، ص ٢٩ .

(2) السابق : ص ٣٠ .

(3) السابق : ص ٣٢ .

التعبير اللغوي، فبسطت المحصول الصوتي وصوغ القوالب اللغوية ونظام تركيب الجملة، ومحيط المفردات، وتنازلت عن التصرف الإعرابي واستعنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة، كما ضحت بالفرق بين الأجناس اللغوية، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة عن مواقع الكلمات في الجملة، للتعبير عن علاقات التركيب[١].

ولم ينص فك على أن هذه اللغة كان يستخدمها العرب، والسكان الأصليين جميعاً، لكن في قول(لغة التفاهم) بصيغة المفاعلة ما يلزم أن يكون العرب قد استعملوها أيضاً، والله أعلم .

وقد قدم فك تشبيهاً بديعاً لهذا المستوى من مستويات العربية المولدة بالنسبة إلى اللغات الأصلية لتلك الشعوب، يقول : قدمت العربية لأقاليم دولة الخلافة مجرد خيوط واهية في شبكة تتألف خيوطها الأساسية من التعبيرات المتعارفة لدى السكان الأصليين[٢]، لأن هذه الشعوب في العراق، وفارس، ومصر تمسكت في بداية أمرها بلغاتها الأصلية.

ومكونو هذا المستوى من تلك الشعوب – بالإضافة إلى القائمين على الأراضي، والمشتركين في الجيوش – الأسرى من الرجال، والنساء الذين دخلو مع العرب معسكراتهم، وبيوتهم، ولم يذكر فك الذين أسلموا دون أن يشتركوا في الفتح، لأن هؤلاء لم يتحقق لديهم الاتصال اللغوي مع العرب كما تحقق لتلك الفرق[٣].

المستوى الثاني : يتمثل في الأجيال التي ظهرت بسبب مشاركة تلك الشعوب للعرب في النسب، والمصاهرة، أكثر مكوني هذا المستوى كما ذكر فك هم من أبناء الإماء الذين كانت لهم آباء عربية، ومن أبناء العتقى، الموالي، وقد تألفت منهم الطبقات الدنيا والوسطى في المجتمع الإسلامي ولغة هذا المستوى تقف عند أسلوب لغوي دارج ترك أول ما ترك الإعراب، وظهرت فيه أمارات أعجمية مثل نطق بعض الحروف بأصوات حروف أخرى، ويرى فك أن نواة تكون اللهجات المتأخرة في المدن الإسلامية ترجع إلى لغة ذلك المستوى[٤].

---

(١) السابق : ص ٢٠.

(٢) السابق : ص ٢٤ .

(٣) السابق : ص ٢٠ .

(٤) السابق : ص ٢٣ ، ٢٤ .

المستوي الثالث : مستوى الطموحين من الموالي الذين سمت بهم هممهم لنيل زمام العربي، وامتلاك ناصيتها، وهؤلاء هم أشقاء لأفراد المستوى الثاني، لكن تميزوا بتمكنهم في العربية، وإحاطتهم بها إحاطة تامة[١]، وقد يقع لبعضهم منافسة العرب في الموهبة الشعرية، ولم يعوزهم سوى النطق السليم، مع بعض الانتقادات اليسيرة[٢]، فكان الحسن البصري وهو ابن لأحد الأسرى يقرن مع الحجاج في نقاء عربيته، وكان تلامذته يحضرون مجلسه لا ليكتبوا العلم فقط، بل لصياغته اللغوية المتينة [٣] وكان مكحول قاضي الشام، وكان نافع أحد حلقات السلسلة الذهبية في رواية الحديث[٤] .

وأما الشعراء من هذا المستوى فقد ذكر فك أن أقاليم البلاد الإسلامية قدمت ما لديها من نموذج متفوق، فقدمت فارس زياد الأعجم [٥] وقدمت الهند أبا عطاء السندي، وقدمت الزنوج رياح بن سنيح الذي طاول جريراً في قصيدة ذب فيها عن جنسه وعن الفرزذق[٦].

المستوى الرابع : من العربية المولدة التي ذكرها فك طبقة الشعراء العرب الصرحاء، الذين ظهرت في أشعارهم قسمات غريبة في القصيدة العربية من ضعف التأليف، وفتور الإحساس، ونبو الألفاظ عن أماكنها واستعمال طرق جدية في التركيب، وذكر فك من الشعراء هنا الفرزدق، وذا الرمة، والطرماح، والكميت[٧]، وعمر بن أبي ربيعة[٨]، والعربية المولدة هنا تكاد أن تكون خاصة بالشعر. وسيذكر البحث فيما يلي مظاهر هذه العربية المولدة مع الأمثلة عليها من المستويات الأربعة السابقة .

المظهر الأول : ضعف سلطة الإعراب والميل إلى التسكين:وقد ساق فك مثالاً لها قصة الرجل الفارسي مع الحجاج يقول:" شريكاتنا في هوازها، وشريكاتنا في مداينها، وكما

---

(١) السابق : ص ٢٤ .
(٢) السابق : ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٣) السابق : ص ٤١ .
(٤) السابق : ص ٤٢ .
(٥) السابق : ص ٤٢ .
(٦) السابق : ص ٤٤ ، ص ٤٥ .
(٧) السابق : ص ٤٦ ، ص ٤٧ .
(٨) السابق : ص ٥٤ .

تجي تكون " أي إن هذه الدواب قد وصلت على ماهي عليه من رداءة من شركائه في بلادهم بالأهواز، والمدائن[1]. وهذه القصة ذكرها فك صورة مبينة للعالم لغة التفاهم الناشئة أولاً على لسان الشعوب، والتي تجردت من الإعراب، والعبارة مكتوبة بهذه الصورة لا يمكن الاعتماد عليها في خلو عبارة هذا الرجل من الإعراب، ولا يريد البحث أن يقول إن الرجل تلفظ بهذه العبارة معربة، وإنما أنه يستفاد أن عربية اللغة الناشئة قد تجردت من الإعراب خبراً، أو بمثال آخر غير هذا، وقد ساق فك هذا المثال بعد أن ذكر خلو لغة التفاهم من الإعراب، وكرر هذا القول بعد نهاية القصة .

ويرجع فك عدم وجود الإعراب [2] في هذه العربية المولدة إلى أمر واحد هو خلو لغاتهم الأصلية من الإعراب، وعبارة فك عن هذا السبب يمكن أن نشقق منها أمرين آخرين :

الأول : صعوبة التقاط هؤلاء للإعراب، والجمل في ابتداء تعلمهم من العرب .

الثاني : أنهم أرادوا مقاربة الأداء والإفهام، لا الحفظ المكرر .

ورأى الدكتور رمضان مترجم الكتاب أن ما ذهب إلية فك من خلو لغاتهم الأصلية من الإعراب في تفسير نطقهم للعربية غير معربة هناك ما هو أسهل منه، وهو أن يقال : إن هؤلاء سمعوا العربية من هؤلاء الفاتحين غير معربة [3]، ويجيب البحث بأن الأسهل في الرأي شيء، والأقرب إلى الصواب شيء آخر، ولعل تلك اللغة المتولدة على ألسنة تلك الشعوب لم تكن من حيث الصياغة،والتركيب ينقصها فقط الإعراب، بل هي كصورتها اليوم حين يحاول غير العارف بالعربية الإفهام بها فذاكرة سمعهم تحتفظ ببعض الأصوات التي تكون منها الكلمة – ولنأخذ الكلمة مثلاً وهكذا الكلمة الأخرى، وينقص من هذه الكلمات بعض الحروف، ويزيد بعضها، حتى تتكون مجموعة من الملفوظات لا جملة، لم يكن يحتملها الإعراب لو كانو تنبهوا إليه، وبالتالي فانعدام الحركات نتيجة عدم قدرتهم على محاكاتها كاملة، هذا إذا أخذنا في الاعتبار أنهم لا يأخذون اللغة في ذلك الوقت تعليماً، وإنما يأخذونها بالمحاكاة في وضع غير تعليمي، والله أعلم .

---

(1) السابق : ص ٢٠ .

(2) السابق : ص ٢١ .

(3) السابق : ص ١٢ .

المظهر الثاني : ضعف سلطة المطابقة النحوية في الجنس في التراكيب

ويتجلى ذلك في القصة السابقة فالرجل يتكلم عن جماعة ذكور، وعبر في مقالته عنهم بجمع الإثاث(شريكاتنا)، وأتى في تكلمه بضمير الجمع (نا) وهو يتكلم عن مفرد، يدل على ذلك قول فك في العبارة المفسرة (شركائه) .

المظهر الثالث : ضعف سلطة الأسلوب

وهذا المظهر من مظاهر العربية المولدة يشترك فيه مستويات العربية المولدة الأربعة التي ذكرها فك .الأول : مستوى لغة الشعوب التي وصلتها العربية حديثاً، وهذا المستوى له أكبر نسبة من ضعف الأسلوب في العربية المولدة، ومن أمثلته قصة الرجل الآنفة، فالعبارة بأكملها ركيكة جداً، وتنقصها كثير من أركان الإسناد، وهي تعتبر جملة ناقصة في المعيار اللغوي، مع أن النظر إلى مكونات هذه العبارة يظهر نسبة عالية من موافقة تركيب الكلمات العربية، فكلمة (شريكاتنا) فيها إضافة إلى ضمير، و(في هوازها) فيها استخدام أحد حروف الجر لإفادة معني، وكذلك استخدام الواو في ربط الجملتين أعطى فائدة اشتراك ما قبل الواو، وما بعدها في جامع، واستخدام حرف الكاف أفاد معنى التشبيه في الحالتين حال امتلاكها وحال بيعها، فهو استخدم التشبية، ليدفع اللوم عنه في رداءة الدواب، والحقيقة أن مقولة هذا الرجل قطعت شوطاً طويلاً في الاقتراب من العربية عموماً، ومثال العربية المولدة من المستوى الثاني قول رياح بن سنيح الزنجي :

إن الفرزدق صخرة عادية طالت فليس تنالها[1] الأوعالا

فالبيت كما ذكر فك يشتمل على تأليف غريب للكلام، والتأليف الطبيعي يقتضي : ضالت الأوعل فليس تنالها، فهو فصل بين الفعل (طال) ومعموله (الأوعالا)، ثم أتى بالضمير في (تنالها) قبل ذكر ما هو ضمير عنه وهو(الأوعال) .

ومثال المستوي الثالث : قول عبيد الله بن زياد للجنود : افتحوا سيوفكم، فإخراج السيوف من الأغماد لا يعبر عنه بالفتح، وإنما يقال فيه : سل سيفه .

والمستوي الرابع ذكر فك عليه أمثلة كثيرة، وستأتي في عنوان مستقل وهو (مخالفة نمط القصيدة العربية) .

([1]) السابق : ص ٤٦ .

المظهر الرابع : عدم تحقيق الأصوات العربية

ومثل له فك بأمثلة من المستويين الثاني، والثالث فمن المستوى الثاني ما ذكره عن عبيد الله بن زياد، وهو أنه كان ينطق الهاء بدلاً من الحاء، والكاف بدلاً من القاف، وكذلك فيل مولى زياد بن أبيه كان ينطق الهاء بدل الحاء والهمز بدل العين [١] ومن المستوى الثالث : ذكر مكحول الفقية، وأنه كان يستعيض من الحاء بالهاء، ومن القاف بالكاف[٢].

وأما المستوى الأول فلم يذكر فيه أشخاص معينين، وإنما وصفاً عاماً، يقول : " وهكذا نجد أن غير العرب يستبدلون بأصوات عربية معينة أخرى أسهل عليهم بحيث كان العربي يدرك من ذلك التبديل ما إذا كان الناطق فارسياً، أو نبطياً[٣]".

المظهر الخامس : مخالفة نمط القصيدة العربية

وساق عليه فك أمثلة كثيرة لأنواع متعددة، يختار البحث مثالاً لكل نوع :

النوع الأول : مخالفة بفتور الإحساس اللغوي .

ومثل له فك بشعر الطرماح، والكميت الذين ظهر في شعرهما الإغارة على أشعار رؤبة، دون أن يفهماها فهماً صحيحاً وانتشر في شعرهما الصنعة، والتقليد، بخلاف القدماء الذين كانوا يختارون المقام، واللفظ، مع طبع صادق[٤]. وصف الطرماح ثوراً وحشياً في ليلة ممطرة تلفه سحابة مثقلة بالماء و (هيف مبرد) يقول فك: ولا يفهم من اللفظين الأخيرين إلا ريح باردة، ولكن لفظ هيف معناه ريح الجنوب اللافحة الحرارة[٥].

النوع الثاني : التلاعب في صياغة الألفاظ .

ومثل له فك باختصار الطرماح للفظ تلاميذ إلى تلام، وجمع كلمة شمل إلى أشامل[٦].

النوع الثالث: التحول عن سمات الغرض الشعري .

---

(١) السابق : ص ٢٦ .

(٢) السابق : ص ٤٢.

(٣) السابق : ص ٢١ .

(٤) السابق : ص ٤٦ ، ص ٤٧ .

(٥) السابق : ص ٤٨ .

(٦) السابق : ص ٤٨ .

ومثل له فك بشعر الكميت الغزلي، الذي يبرز في صورة التأكيد أن قلبه ليس ملكاً للغواني، ولا يطمح إلى حب النساء وأن طربه ليس لشوق، ولا محبة، وبشعره الرثائي المحشو بعبارات من النسيب، وهو خروج عن الأساليب، عيب عليه[١].

النوع الرابع : استعمال الألفاظ الدارجة .

ومثل له فك باستعمال الكميت لصيغة أفعل من برق، ورعد في قوله :

أبـــرق وأرعـــد يا يزيـــــ ـــــد فمـا وعيـدك لي بضـائر

مع أن الاستعمال الفصيح لا يعرف إلا صيغة الثلاثي[٢].

النوع الخامس : مخالفة التركيب النحوي القديم .

ومثل له بزيادة لفظ (إلا) في بيت ذي الرمة :

حـــراجيج ما تنفـك إلا مناخـة على الخسف أو نرمي بهـا بلدا قفـرا[٣]

النوع الخامس : مباينة اللغة البدوية في سهولة الألفاظ، وإساغتها .

ومثل له فك بشعر عمر بن أبي ربيعة الذي ازدهر بالحجاز أوائل العصر الأموي[٤].

النوع السادس : رداءة التأليف .

ومثل له بفك بقول الفرزدق :

ومـا مثله في النـاس إلا مملـكا أبـو أمه حي أبـوه يقاربه[٥]

وفي ختام الكتابة عن العربية المولدة في كتاب فك يشير البحث إلى اعتراض الدكتور قدور على إطلاق فك (العربية المولدة) على العربية خارج حدودها القديمة في مواطن لغوية أجنبية بعد وفاه النبي صلى الله عليه وسلم، وفي العهد الإسلامي الأول عن طريق الفتوحات، والجيوش الداعية وأن هذا الإطلاق سابق لأوانه، وأن العربية المولدة، وعصر المولدين متأخر عن هذا التحديد الذي ذكره فك إلى القرن الثاني الهجري[٦].

---

(١) السابق : ص ٥٠ .

(٢) السابق : ص ٥١ .

(٣) السابق : ص ٥٣ .

(٤) السابق : ص ٤٥ ، ص ٥٥ .

(٥) السابق : ص ٤٦ .

(٦) قدور ، أحمد محمد ، مفهوم العربية المولدة : ص ١٣ .

ويرى البحث أن إطلاق فك لـــ (المولدة) على العربية في ذلك العصر ينفتق عن معنى لغوي، وليس استعمالاً لاصطلاح فهو لا يقصد أن ذلك العصر هو عصر المولدين المعروف،والمعروفين، وإنما هو في هذا الإطلاق يصف لغة حددها بهذا الوصف ولا يعني هذا أن جميع العربية في ذلك العصر هي مولدة، فهو يراقب في هذا الإطلاق ذلك الخيط الخفي الحي، الذي تخلل نطق العربية في البلد الإسلامي الكبير، متميزاً بمخالفة العربية المعهودة، فإطلاق فك لغوي من ناحية أن هذا الخروج، أو الدخول إلى العربية وليد جديد بقسماته الموصوفة، دخل إلى نسب العربية بحكم نطقة بها، وإطلاق مخصص؛ من جهة أنه لا يعم العربية على جميع الأفواه، والله أعلم .

علاقة : السياسة اللغوية تجاه العربية (الفصحى) :

كان المسلمون على علم بقوة العلاقة التي تربط اللغة العربية بالإسلام، ولذلك خطى الذين يشعرون بمسؤولية منهم خطوات لا يزال أثرها إلى اليوم باقياً، ولعل تلك الأعمال كانت قضاء من الله تعالى لقدر حفظ العربية، وفي مقدمة تلك الأعمال الجليلة وضع أساس علم النحو، وجمع اللغة.

وقد رسم فك صوراً مشرفة لجميع طبقات المجتمع في حرصهم على أن تسلم الفصحى من لوثة العجمة، التي قد لا يتمكن العرب من غسلها عنها، خاصة مع نمو العربية المولدة، وذكر أن هذه الطبقات كانت تملك حساً لغوياً، وأنها اتخذت مبدأ التنقية اللغوية، سالكة سبيلين في هذا الغرض وهما :ـــ الأول: التشجيع على الالتزام بالفصحى، ومكأفاة من يلتزمها .

الثاني : تقبيح مخالفة الفصحى، والتحذير منه .وهذه الطبقات هي :ـــ

الطبقة الأولى : الخلفاء وأفراد البيت الأموي .

وذكر فك لهم أربعة نماذج :

الأول : عبد الملك بن مروان، فكان يحذر أبناءه من اللحن، ويقول: " إن اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه، وأقبح من التفتيق في ثوب نفيس، ولم يكن مبدأ هذا الخليفة ملزماً للناس فقط دون أن يجريه على نفسه، بل كان لا يرخص لنفسه باستعمال ما يخالف الفصحى في جميع أحواله حتى المزاح [1].

([1]) فك ، يوهان ، العربية : ص ٣٦ .

وفي سبيل المكافأة، والتشجيع كأفأ الشاعر أبا المنهال الخارجي بإطلاق سراحه، وترك مؤاخذاته عندما حورا بيتاً من الشعر تحويراً يدل على الاعتماد على الفصحى في الإبانة عن المقصد [١].

النموذج الثاني : سليمان بن عبد الملك، وكان يعظم الجمال اللغوي، واستخدم الفصحى بدقه للدلالة على المعاني، وذكر فك أن سليمان قال عن رجل من قريش يسخر منه : إنه يفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الإعراب [٢].

ومقتضى هذه العبارة أن اللحن أمر قبيح، والرجل الذي يتعاطاه يكون قد عرض نفسه للمسبة، وهنا زاد مسلمة أمراً وهو أنه جعل فعل هذا الرجل للقبيح من باب التعاظم يسخر منه .

النموذج الثالث : مسلمة بن عبد الملك، وذكر فك أنه كان يكره أخاً لأحد القواد المسلمين، وهو عمرو بن مسلم الباهلي أخو قتيبة القائد العسكري، وكان يكره الذين يسألون ويلحنون في كلامهم [٣].

النموذج الرابع : عمر بن عبد العزيز، وذكر له فك موقفاً تفرد به، وهو أنه كان يصلح ما يخالف الفصحى في مجلسه وكان يكره أن يسمح مخالفة للفصحى، على أن هؤلاء الأمويين كانوا على قدر عال من المعرفة اللغوية، والأدبية وكانوا يتميزون بحس لغوي دقيق يتأذى مما يخالف الفصحى [٤].

الطبقة الثانية : الولاة

وفيما يخص الولاة ذكر فك أن الحجاج كان لا يتنازل عن الحديث بعربية ناصعة، ويقيم وزناً، لأن يعبر الناس في محيطه تعبيراً دقيقاً، وكان الخطأ في القواعد سبباً وحيداً كافياً في أن يكون الشخص في نظره غير كفء لتولي عمل في الدولة الإسلامية واعتذر فك للحجاج عن الأخطاء اللغوية التي حفظت له في قراءة القرآن بأنها لا تعد

---

(١) السابق : ص ٣٧ .

(٢) السابق : ص ٣٧ .

(٣) السابق : ص ٣٧ .

(٤) السابق : ص ٣٧ .

لحناً في لغة الحجاج، لأن القرآن لا يُقرأ على نية أن الإنسان هو الذي يعربه بالرفع، والنصب، بل يقرؤه عن حفظ لحركة ألفاظه كيف هي في القرآن [١].

وكذلك كان عمر بن هبيرة والي العراق فكان يعتقد أن من يحسن العربية أعلى مقاماً في الجنة من غيره[٢]، ويمكن أن يستنتج من هذا أنه كان يوفر من يقيمون العربية إقامة صحيحة أكثر ممن لا يقيمها، وهذه المواقف من هذه الطبقة العالية في الدولة كفيلة بالحث على استعمال الفصحى نقية.

الطبقة الثالثة : الشعراء

وكانت هذه الطبقة حريصة على نقاء اللغة أيضاً، ومثل لها فك برؤية بن العجاج فقد مدح بلالاً بن أبي بردة قاضي البصرة بأنه يعني بسلامة لغته، ولا يقع في الخطأ، وكان يتمدح بترك معارضة من لا يفرق بين الصحيح، والزائف في العربية[٣].

وحقر الشاعر يحي بن نوفل الحميري خالد بن عبد الله القسري والي العراق وهجاه يقول فيه :ـــ

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب[٤]

الطبقة الرابعة : الموالي

وشارك في مبدأ التنقية اللغوية كما ذكر فك الطبقة الطامحة من الموالي، ويمكن أن نسميهم (العلماء) وذكر فك مثالاً لهم عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي، فكان يراقب ما يدور في عصره من الأشعار، وينبه إلى ما افتقدته من الصحة، وقد اعترض على الفرزدق في أبيات من شعره، ومد نظره لينقد شعر الجاهلية، وهجاه لذلك الفرزدق بقوله :

فلو كان عبد الله مولي هجوته ولكن عبد الله مولي مواليا

ومع ذلك واصل ابن الحضرمي تنقيته ليقول للفرزدق إن الصواب في البيت الذي هجوتني به هو مولى موال [٥].

---

(١) السابق : ص ٣٨ .

(٢) السابق : ص ٣٨ .

(٣) السابق : ص ٣٩ .

(٤) السابق : ص ٣٩ .

(٥) السابق : ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

فهرس المصادر:

- أ. ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤ م .
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٦٩ هـــــ (د . ط) .
- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل،بيروت، الطبعة الأولي ١٤١١ هـ .
- الأقطش، عبد الحميد، حول حقيقة العربية الفصحى، مجلة الدراسات، العدد الخامس، ٢٠٠٧ م .
- الأكوع، خالد أحمد إسماعيل، أثر الإسلام في التوحيد اللغوي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـــ – ٢٠٠٧ م .
- بلا، شارل، تاريخ اللغة والآداب العربية، تعريف رفيق وناس، وصالح حيزم،والطيب العشاش، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى.
- البوزبكي والتعريب في العصرين الأموي والعباسي، على الرابط : http://www.altareekh.com
- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د . ط . ت).
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد، شفاء الغليل، فيما في كلام العرب من الدخيل،تصحيح وتعليق ومراجعة محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني، الطبعة الأولى: ١٣٧١ هـــ – ١٩٥٢ م .
- خليل، حلمي، المولد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د . ط . ت) .
- رضا، أحمد، مولد اللغة، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.
- رضا، محمد رشيد، الخلافة، مطبعة الزهراء، القاهرة (د . ط . ت).
- سليم، عبدالفتاح، اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، دار المعارف الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩.
- شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : أحمد المندوب، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .
- الشلقاني، عبد الحميد، مصادر اللغة، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .
- شير ، أدي، الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٧–١٩٨٨ م .
- الصالح، صبحي دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٧٣م .
- عبد التواب، رمضان فصول في فقه العربية مكتبة الخانجي،القاهرة الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩.
- عبد الله، محمد فريد، في فقه اللغة العربية، الرواية، الرواة، السماع، القياس، الاحتجاج، الاستشهاد المعرب، الدخيل، المولد، المصطلح، دار البحار، بيروت – لبنان .
- عبد المنعم، محمد نور الدين، الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الرياض، الطبعة الأول ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .
- الفيصل، شكري، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، نشأتها مقوماتها وتطورها اللغوي والأدبي، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣ م .
- قدور، أحمد محمد، مفهوم(العربية المولدة) عند يوهان فك في كتاب العربية، مجلة مجمع اللغات العربية الأردني، العدد (٤٦) جمادى الأول – شوال ١٤١٤ هـ، السنة الثامنة عشرة، تموز – حزيران ١٩٩٤ م .
- المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسات تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م .
- ناصر، بتول قاسم، دلالة الإعراب لدى النحاة القدماء دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد، العراق، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .
- نهر، هادي، الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، دار الفكر، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ – ٢٠٠٢ م .
- نور الدين، عصام، محاضرات في فقه اللغة، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .